الروح وماهيتها (١)

للسيد محمد الحريري

— ٢ —

جاء العلم الحديث مصدقاً لما ذهب اليه الفيلسوف بركلي من أن الكهرب أو «الالكترون» هو الجزء الذى لا يتجزأ من المادة ، لأن الذرة تتركب من جملة كهارب ، وأن هذا الكهرب مركب من جملة تموجات أثيرية . ولسنا نعرف على التحقيق ما هي طبيعة هذه التموجات ، فالتموجات كما هو ظاهر عبارة عن حركة دائمة . ويسهل إذن تصور الكهرب على اعتبار أنه حادث أى أنه غير ثابت. ومعنى الحادث هنا هو حصول التموجات والحوادث، أى أن التموجات تتلاحق فيتراكم بعضها على بعض.

وزيادة فى التبيان أقول إن التموجات التى يتركب منها الكهرب عبارة عن نوع من القوى لا نعلم ما هو ، وما كنهه وطبيعته. ولكننا نعلم أن الكهرب يمتص الاشعاعات الضوئية ثم يلفظها ، ونعلم أنه يثب من هنا إلى هنا داخل الذرة . وهذه الاشعاعات التي يمتصها الكهرب هى التموجات التى تحل الموجة منها محل موجة أخرى ، ولا بد من مضى زمن تافه جداً بين حركة التبديل هذه (أى تبديل موجة بموجة) وبين حركة حلولها محلها .

إذن ليس ثمة شيء يسمى المادة ، وإنما هناك حوادث لا تخضع لقوانين معروفة لنا ، تجرى وفق إرادة خارجة عنها ، أي أنها مسيرة لا مخيرة ثم هى تجرى فى الفضاء غير متأثرة بالزمن ، وقد وصف الاستاذ ارنجتون الكهرب بأنه شيء مجهول يعمل شيئاً مجهولا ، إلى أن تقرر أن عنصر الكهرب — الذى يدرك أثره ، ولا تعلم حقيقته — منفعل لعنصر آخر أدق منه وأقوى ، وهكذا إلى أن يمكن القول بأن جميع المواد متلاشية فى قوى بعضها فوق بعض فى الدقة والخفاء حتي تصل إلى نقطة يمكن أن يعبر عنها بقوة مجهولة لا تعلم ، وهى فى حكم العدم بالنسبة لنا .

وهنا يتحقق قول من قال : إن العالم أبدعه الله من العدم إلى الوجود بقدرته غير المتناهية وهو المبدأ المقرر فى الشريعة الاسلامية من أول نشأتها. وقد أثبته العلم الحديث مكرها . وهذا الكهرب جزء من الأثير العام .

---

(١) راجع الجزء الخامس من هذه المجلة

الأثير

جاء فى كتاب المذهب الروحانى لعبد الله أباحى الذى نقله عن المجامع العلمية الاوربية والأمريكية بعد تجارب علمية لا تقبل الشك عند بعض من لهم خاصية الانطلاق الروحى يقظة أو فى حالة الانخطاف أو التنويم المغناطيسى قوله: إن الكون به مادة أثيرية غير خاضعة لنواميس المادة وهى أصل عناصر المادة ، ولا تؤثر فيها أقوى رطوبة ولا أشد حرارة ، ومنها تصدر المواد واليها تعود وتتلاشى فيها بعد تفاعلات فى جملة أوجه وصفات . وما الكهرباء والمغناطيسية والتشعع والراديوم واتصال التلغراف اللاسلكى إلا نتيجة اتصال بهذا العنصر الأثيرى بأى كيفية كانت، كآلات وحركات ميكانيكية على نظام خاص تحفظ بواسطتها بطارية كهربائية تحوى قوة دافعة مضيئة أو محركة كتفاعل انسان بطريقة مخصوصة أو فجائية ككثرة التأملات والتغذى بأشياء مخصوصة عند الهنود، أو كالرياضة عند الصوفية، أو كالتنويم المغناطيسى وما شابه ذلك.

هذا الأثير غير القابل للتلاشى والذى ثبت أنه مالىء لجميع الكون له من سرعة السريان والحساسية ما لا يخضع للزمن ويفوق سريان الضوء مما لا يتصوره العقل — ثبت عند علماء الروحانية أن الجسم الروحانى الملازم للروح بعد مفارقتها الجسد ، مكون من هذا الأثير، لأن الجسم الروحانى برزخ بين الجسد والروح، كما أن الأثير برزخ بين المادة وما وراءها ، وأن هذا الجسم الروحانى على شاكلة الجسم المادى ذرة ذرة ، إذ أن الجسم ما نشأ إلا على منواله وتقديره كمنزل رسم ثم بنى على منوال ما رسم . وهذا الجسم الروحانى هو الذى ننتقل به فى الرؤيا المنامية فى جملة جهات ، وتعمل جملة أعمال دون أن يفقد الجسم حياته ، وما ذلك إلا باتصال هذا الجسم بأصل هذا الأثير العام الذى هو جزء منه وفيه يأخذ حكمه من عدم الخضوع لأحكام الزمان والمكان، إذ أن النائم يرى ويعمل فى الدقائق المعدودة ما لا يعمله فى عالم الحس إلا فى الشهور بل السنين ، وما ذلك إلا لخضوع كل حالة لنا موسها، فسماع الاصوات البعيدة كأنها قريبة ، أو رؤية البعيد قريباً، أو الانتقال إلى مكان بعيد فى لمحة، ليس هو فى الواقع خوارق عادات لناموس المادة ، إنما هو توصل بمغناطيسية أو كهربة الجسم بأى حالة اصطناعية أو تعبدية للوصول الى هذا الأثير والاندماج فيه بحالة نفسية روحية، تجعل الانسان يفعل فى أقل الأوقات وأدقها مالا يعمله فى السنين وهو محبوس فى مادة الجثمانية.

باكتشاف هذا الأثير المالىء الكون وبايضاح خاصته من أنه غير خاضع لحكمى الزمان والمكان، وأنه سريع التأثر والسريان — باكتشافه تحل مشكلات كثيرة منها كيفية التخاطب بالتلغراف اللاسلكى ، وهى عبارة عن وضع بطاريتين متقابلتين تحتويتين على كمية من هذا الاثير أو من أثره

ثم اطلاق هذه المحتويات فى الفضاء بحالة فنية معلومة لدى أربابها فلا تلبث أن تتصل بهذا الاثير العام ، ومنه الى البطارية المشابهة فى الاحتواء والماهية ، و بوضع فنى مخصوص يحصل التخاطب . وهذا بعينه هو تخاطب الارواح من أمكنة بعيدة إذا اتفق روحان من انسانين على اتجاه خاص فى وقت خاص ، وهذا شىء أصبح فى حكم التواتر الآن ، بعد أن ذكره كثير من الصوفية وكان عنـد كثير من الناس فى حكم الخرافة ، وما نداء سيدنا عمر بن الخطاب لسارية الجبل يحذره من العدو إلا نوعا من هذا الاتصال الروحى ، وكان ما بينهما مسيرة أيام بل شهور على الأبل وقتئذ، وقد سمع نداءه وانحاز لما أراد، وطبعاً ما ناداه سيدنا عمر إلا بعد ما رأى حرج مركزه و إحاطة العدو به ، وفى هذا الاتصال الروحى الانسانى ما يعلو عن الاتصال المادى اللاسلكى ، إذ أن الانسان يرى و يسمع بروحه ما يغنى عن رموز آلة التلغراف اللاسلكى، بل أكثر من هذا ثبت فى الروحانية أن الانسان ينتقل بروحه فى جهات بعيدة ، و يعمل أعمالا عجيبة ، وقد يكون جسم هذه الروح فى مكان أمام الناس وهو فى أقصى المعمور فى مختلف الاعمال . وهؤلاء الناس الذين حازوا هذه الخاصية هم المعبر عنهم بالأبدال فى عرف الصوفية والذين كنا نعد حكاياتهم ضرباً من الترهات ، قد ثبت الآن بالعلم الروحانى المؤيد بالبراهين المشاهدة لجمعيات علمية لا تقتنع إلا بالبرهان والشهود الحسى ومن هنا تحل مشكلة حياة الشهداء التي تخبط فيها المفسرون .

وفى كل العصور بل وفى عصرنا هذا وفى كل الطبقات من ذا الذى لم يشاهد أو يسمع على الأقل أن شخصا فى حالة ما ، فى حالة تفاعل روحى شاهد شخصاً كان بعيدا عنه فى أحد البلاد أنه أمامه ثم لم يلبث أن لا يراه، وإذا قيد حركة ما رآه واستفسر عنه بعد ذلك عند مقابلته، لوجده طبق ما رأى؟ وهذه الحالة تنمو وتثبت عند كبار المتريضين أو أصحاب الانطلاق الروحى الطبيعى منهم .

ثبت فى الروحانية أكثر من ذلك، فقد أخبرت بعض الأرواح أن من هذا الأثير و بقوة إرادة الروح فيه يمكن إيجاد أى مادة فى الحال ، كايجاد زهور وفواكه وأقمشة وغير ذلك، و إن كانت الارواح أخبرت أنه لا يقوى على مثل هذا الفعل إلا الارواح النقية الطاهرة بسماح من الله ، ولما سئلت الارواح عن كيفية هذا الايجاد قالت: إنه وجد بمجرد تسلط الارادة بالمطلوب ، ذكر ذلك العلامة و يليام كروكس غرة علماء انجلترا فى كتابه «مباحث الروحانية» فانه عمل هذه التجارب والامتحانات فى معمله نفسه بعد أن أخذ كل حيطة وتأكد من صحة ما حصل وعلى يد جمعية علمية . وفى سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢ اشتغلت الصحافة الايطالية بغرابة الامتحانات التى أقامها العلامة الخطير لامبروزو فى جنوا بصحبة العلماء موريلى والبرو والكاتب تاتولى مدير جريدة الجيل التاسع عشر .

وفى القرآن الكريم ما يشير إلى إمكان اجتماع الانسان بأحد الأرواح التى نقلت إلى العالم الآخر حيث قال الله تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » .

أقول إذا ثبت ذلك فى الروحانية الحديثة ، فهو حقيقة ما ذكر عن غرائب الصوفية والصالحين والذى كان يعده معظم الناس خرافة ، فقد ذكر الامام الشعرانى عند ترجمة الشيخ الفرغلى فى الطبقات الكبرى المدفون بأبى تيج أنه طلب منه جوز هندى من الهند ـ وهم فى أبى تيج ـ لأحد المرضى ، فأحضره فى الحال . وقد نظر الحاضرون فعلا شجرة هذا الثمر أمامهم ، وأخذ منها مطلوبه وكان الشيخ الفرغلى من أرباب الانطلاق الروحى أى مأخوذاً من صغره ومجذوباً .

وفى قرآننا الكريم ما يؤيد ذلك فى قصة السيدة مريم حيث قال الله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » وقد أجمع المفسرون على أنه كان يوجد لديها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس ، مما أدهش نفس سيدنا زكريا عليه السلام ، لأنه كان يقفل عليها المحراب ولم يسمح لأحد بالدخول عليها والاختلاط بها .

كذلك ذكر الاستاذ الشعرانى فى طبقاته كثيرا من هذه الخوارق : كانتقال إنسان إلى أمكنة بعيدة وإحضار أشخاص أو أشياء من أمكنة بعيدة ، كما ذكر عن السيد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقى وأضرابهما .

وقد جاء فى القرآن الكريم ما يؤيد ذلك فى قصة إحضار عرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس فى أقل من لمح البصر ، قال تعالى « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » وغاية ماهنالك أن قوة التأثير فى هذا الأثير تختلف فى القوة والضعف بحسب نقاء الارواح وقوة إمدادها بحسب الفطرة التى فطرها الله عليها ، وقد جاء فى الحديث القدسى « عبدى أطعنى أجعلك ربانياً تقول للشىء كن فيكون »

وفى هذا المقام يمكننا فهم قول الامام محيى الدين ابن العربى فى الفتوحات المكية « إنما خرق العادات رجوع إلى أصل العادة » وبمعنى أوضح نفهم أن الاصل فى الاقتدار الإلهى القدرة على كل شىء ، وللارواح ـ باعتبار أنها من أمر الله والتى سبقت هذا الاثير فى الايجاد والرتبة فضلا عن الحياة التامة والعلم بالذات ـ أن تؤثر فى هذا الأثير بما تريد فيكون ما تريد ، وذلك فى حدود الطاقة الروحية التى أمدها الله بها ، وهذه هى حالة أهل الجنة فى العالم الآخر ، توجد بالتمنى

والارادة . ولما خلق الله الكون الراسب الكثيف من العناصر الخاضعة للمقدار والكمية ولناموس الطبائع، من : حرارة ورطوبة ، وقدر أن يخلق من هذه المادة الكثيفة جسم الانسان ليكون مطية ـ لهذه الروح ـ اقتضت الروح أن تخضع لناموس المادة طالما هي مقيدة بها، فان تخلصت من هذه الرواسب والاثقال بأى حالة من التى ذكرناها آنفا ، رجعت الى فطرتها وأمكنها التسلط بالايجاد لأى شيء بمجرد الارادة، وهى المسماة «خرق عادة» والواقع أن الروح ما رجعت إلا لعادة فطرتها التى فطرها الله عليها، وما ثم خرق عادة لمن فقه هذا . ويقرب من هذا النوع عالم الجن الذى يقرب فى تكوينه من مادة هذا الاثير، لذلك لا تحكم عليه المادة، فهو يتخلل المواد الكثيفة إلى آخر ما هو مشهور ومعلوم ، وكذلك عالم الملائكة ـ وهم أرقى من عالم الجن ـ وكلا هذين العالمين لا يمكن أن يصلا لعالم الروح المجردة ، ونفس الجسم الروحانى كذلك، لأن الروح المجردة هى من عالم الأمر الصادر من القوة الالهية .

وعالم الامر هذا هو الوارد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » وهو يعلو عالم الخلق ، وهو الملك والملكوت المشاهد والمعقول، وإن كان المعقول هذا فى عالم الملكوت غير المنظور قد يكون منظوراً لمن سبح فيه بجسمه الروحانى السابق التعبير عنه. ولا دخول البتة لعالم الامر إلا بالتخلص من نفس الجسم الروحانى المكون من مادة الأثير العام وأن يكون الانسان روحا مجردة فيمكنه أن يتصل بالعالم الذى برز منه وبالحالة التى كان عليها « ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أى قلة فى العلم اذا كان نفس الثوب الروحانى للروح مخالف بالمرة للقواعد العلمية التى نعرفها فى المواد. وما متحصل سائر علومنا إلا بحث تلك المواد بجميع أنواعها . أي أن الله سبحانه وتعالى أحال علم كنه الروح على أنها من عالم الامر ، ولا يمكن تقريب فهم عالم الامر إلا بشرح ثلاث عوالم، طبقة بعد طبقة : عالم الجسمانية وهو الكون المنظور ، وعالم الروحانيات ويجمعها الجسم الروحانى وعالم الملائكة والجن وهم المتصلون بالاثير العام ، وعالم الارواح المجردة وهو أول ما انبثق من عالم الامر . هذه هى العوالم الرئيسية وإن كان كل عالم منها له اثواب عديدة تخلع للتخلص من الكثيف الى اللطيف إن حساً وإن معنى وهى المعبر عنها عند الصوفية الأقدمين بالنفوس السبعة او الحجب والمنازل والمقامات ، إلا أنها مهما تعددت لا تخرج عن هذه العوالم الثلاثة ملك ـــ ملكوت ـــ أمر . أى خلق وأمر ، وسنتكلم عن ذلك فيما بعد .

محمد الحريرى
بالنيابة العمومية